

والأمة الإسلامية كي تتطلع إلى مستقبل مشرق لا بد أن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها مسوقة بقيم وأفكار وموارث لها في وعيها فاعليتها القوية.

الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- أنظر د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 102، ط : منشورات عويرات 1982، بيروت - فرنسا .
- 2- المصدر السابق، ص 164 .
- 3- المصدر السابق، ص 164 .
- 4- د/ محمد عمارة، الغزو الفكري، وهم أم حقيقة، ص 205 بتصرف، ط : الأزهر 1988 م .
- 5- عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ص 122، ط : دار القلم، دمشق - بيروت 1440 هـ .
- 6- د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 167 .
- 7- أنظر : د/ توفيق الراعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص 389 .
- 8- المصدر السابق، ص 390 .
- 9- أنظر : د/ محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي، ص 221 .
- 10- د/ محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص 206 .
- 11- أنظر : د/ أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص 81، ط : دار اللواء، الرياض، 1401 هـ .
- 12- د/ أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية، ص 94، ط : دار اللواء بالرياض 1401 هـ .
- 13- د/ جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، ط : دار الكتاب اللبناني سنة 1986 م .
- 14- أنظر : أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص 500 .
- 15- د/ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج 1، ص 102، ط : دار المعارف بمصر 1977 م .
- 16- أنظر : د/ محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص 248 .
- 17- د/ محمد قمبر، هدفية العلم في الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم : 8 ص 63، سنة 1411 هـ - 1991 م، كلية التربية، جامعة قطر .

الوصل الثقافي بين الجزائر وبلاط شنقيط

أ / محمد بن المحبوب
أنواكشوط - موريتانيا

مثلت بلاد شنقيط (موريتانيا) منذ زمن بعيد نقطة التواصل والربط بين الحواضر المغاربية وبلاد السودان، فكانت قناة العبور والمرور بل جسر التبادل والوصل فأصبحت بذلك ممر القوافل التجارية ومركز التحاور الثقافي، فشكّلت صلات وثيقة مع مختلف الحواضر المغاربية، خاصة المراكز الثقافية بالجزائر التي كانت شريان المعارف بأرض شنقيط وقادح التجارب والفنون أيضا.

ولا ننسى التنبيه هنا إلى نقاط التقاطع والتلاقي بين هذين البلدين إذ انطبعت حياتهما بالمطابع العربي الإسلامي واصطبغت بالتفكير الأشعري، والفقهاء المالكي وتصوف الجنيدي، والصدور عن قراءة الامام نافع إلى غير ذلك من سمات التشابه والتماثل.

فهذه الأمور وغيرها من نقاط التقارب والتلاقي حملت أبناء هذين البلدين على تبادل الخبرات والمعارف. فكانت المؤلفات الجزائرية عماد المقررات الدراسية بأرض شنقيط خاصة في المنطق وعلم الكلام. وأكثر من ذلك فإن الجزائر تمثل محطة تزود ونقطة عبور بالنسبة للمرتحل الشنقيطي الذي كثيرا ما يتلبث بساحتها مجالسا العلماء، محاورا أهل الفضل والحكمة، مقتنيا المراجع والعلوم جالبا الكتب والمخطوطات.

وزيادة على ذلك يمكن أن نلمس نوعا من التشابه في اشكال الخطوط وأنواعها وحتى في مظاهرها المادية أحيانا (التجليد والتغليف) وكذلك الأمر بالنسبة اللهجات والذوق الفني والملابس والأزياء مع الإلتفاف في المناهج

التربوية القديمة القائمة على الحفظ والإستظهار واعتماد الكتاتيب القرآنية، والزوايا العلمية والحضارات الصوفية، والمعاهد التعليمية ونشير هنا إلى أن المؤلفات الشنقيطية - رغم تميزها ظلت تلوذ بالمؤلفات الجزائرية، فثمت مؤلفات جزائرية اعتمدت في المحاضر الموريتانية كما هنالك مؤلفات جزائرية تناولت من قبل علماء الشناقطة بالشرح والتعليل والإستدراك، وهذه المؤلفات تبقى رمز التآلف وعنوان التواصل وشعار العشرة المعرفية والزمالة العلمية بل أعظم شاهد أو أرسخ رابط يكشف عمق العلاقة الثقافية وتآصلها بين البلدين. فقد جعلت من البلدين بلدا واحدا بل جسما مترابطا ظلت أعضاؤه تشتد وتقوى بفعل اللقاءات العلمية والرحلات الحجازية وماصاحبها من المحاورات والمناظرات التي تعد ناظم لحمة وعامل تقارب ووصال.

وقد تجاوزت هذه اللحمة العلمية تبادل المؤلفات إلى الإتصال المباشر عبر تنقل العلماء وإرتحال أهل الفضل والفقهاء حيث وصل إلى بلاد شنقيط العلامة أحمد الذهبي قادمًا من تلمسان ليدرس الناس مختصر خليل ويعلمهم الكتاب والحكمة. (1)

وإن كنا لا نعلم تاريخ وصوله ولا الفترة التي قضاهما بين أظهر القوم، ولا عدد طلابه ولا حتى أسماء بعضهم إلا أننا نفترض أن جهوده العلمية قد أثرت في الناس وأتت أكلها إذ بقي إسمه في الذاكرة، بل تسمى بإسمه رجال ونساء بالبلد.

وبالمقابل نشير إلى أن الشناقطة كان لهم حضور بالبلاد الجزائرية فكيف كان ذلك كله؟

ذلك ما نروم الإجابة عنه في السطور اللاحقة مفصلين بشأنه القول:

حضور الأولياء الجزائريين ببلاد شنقيط:

لا جرم من التنبيه إلى أن للأولياء والصالحين من أهل الجزائر حضورا كبيرا في الصعيد الشنقيطي، فقد كان للشناقطة اهتمام خاص بالأولياء لا

سيما أبناء الجزائر منهم فقد اعتنوا كثيرا بآراء الصوفي الجزائري شعيب أبي مدين الغوث (ت 594 هـ / 1197م) ذلك الزاهد المتعبد الذي تنسك ببجاية وكثر بها أتباعه حتى أسس حضرات صوفية، وقبره في مسجد العباد ضاحية تلمسان مشهور مزار. (2)

وقد نال هذا الولي شهرة كبيرة وسيرورة بأرض شنقيط حيث تسمى بإسمه أعلام كثيرون يلتمسون بذلك بركته، كما كان القوم هنالك يحفظون أشعاره ويرددونها في ساعات العسرة والفرح خاصة قصيدته المشهورة التي مطلعها (3) البسيط.

يا من يغيث الورى من بعدما قنطوا * ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا

كما كانوا يروون قصصه وكراماته ينشون بها مجالسهم وأنديتهم.

ولا ننسى كذلك أن جزائريا آخر قديما يسمّى ابن باديس عاش في حدود القرن السابع الهجري كان له تأثير صوفي كبير على الساحة الشنقيطية، حيث تداول الناس هنالك قصيدته السينة المشهورة، وهي عندهم مباركة ميمونة متلوة في الشدائد مجربة للنفع ويسمونها "البادسية" نسبة إلى ناظمها. الذي لم يتمكن من معرفته، ويفهم من قصيدته أنه عاش في أيام الدولة الأيوبية وارتحل إلى المشرق فرفع هذه القصيدة إلى رجل يسمى صلاح الدين العلائي ولعله مصري.

وكان بعض من الناس في شنقيط يحفظ هذه القصيدة ويردها في حلقات السمر ومجال الدرس، كما كانوا يتبركون بها وبمضمونها إذ تضم في تضاعيفها أسماء أربعين واليا من أولياء الله، وكان الناظم يذكر كل واحد مضيفا إليه ما اشتهر عنه من الخوارق والكرامات، وقد شرح هذه القصيدة ابن عمنا العلامة محمد سالم بن المحبوب. (4) رحمه الله شرحا مفيدا ومطلع القصيدة قوله (5) الطويل.

ألا بل إلى بغداد فتهي منى النفس * وحدث بها عن ثوى باطن الرسم

ومن الأولياء الجزائريين الذين طبقت شهرتهم الآفاق وكان لهم حضور كبير في الذاكرة الشنقيطية نذكر الشيخ سيدي أحمد التيجاني⁽⁶⁾ صاحب الطريقة التيجانية المشهورة، والمنتشرة بغرب إفريقيا، ولهذه الطريقة أتباع في أرض شنقيط كثيرون، فقد وصلت البلاد في وقت مبكر وذلك خلال العقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري مع العلامة الشيخ محمد الحافظ العلوي⁽⁷⁾ الذي لقي الشيخ التيجاني مشافهة وأخذ عنه الطريقة مباشرة. وقد امتدح الشعراء الشناقطة هذا الولي التيجاني الجزائري فخاطبه محمد يحي⁽⁸⁾ الولاتي مربعا قصيدة الرياض التوبسي بقوله⁽⁹⁾ (البسيط).

أقول للخل يبغى الفوز بالأس * والآن من هن شر وسواس وخناس
صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس * وأصحب ذا الحزم ذا جد إلى فاس
أقرا السلام على تلك المعاهد من * حيران نلغظه ناس إلى ناس
ذاك الذي نال عالم يحو بشر * بعد الصحابة من جن ولا ناس
غوث البرايا أبو العباس أحمد من * معناه أعظم أن يجلس بقر طاس

وقد تسمى باسم الشيخ التيجاني أعلام شناقطة كثيرون كما نوه بعضهم بالطريقة التيجانية جاعلا منها يواقيتا ومرجانا يقول⁽¹⁰⁾.

أوراد تاج الكمل التيجاني * كقلائد الياقوت والمرجان
فأدأب عليها ما حييت فأنها * أشهى وأعذب ما جناه الجاني

تأثير العلماء الجزائريين بأرض شنقيط

وإذا تجاوزنا الحديث عن الأولياء إلى تأثير العلماء والمؤلفات لوجدنا للجزائريين ومؤلفاتهم حضورا كبيرا بالمحاضر الشنقيطية خاصة فيما يتعلق بالنحو والمنطق وعلم الكلام فيبدو أن الجزائريين كان لهم قدم سبق في التأليف العقدي بل ربما أمكن القول إن لهم سلطانا معرفيا كبيرا في العلوم العقلية بالغرب الإسلامي عموما فمعظم المؤلفات المغاربة في المنطق وعلم الكلام من مستطورات الجزائريين ومنتوجهم (المقري، السنوسي، الأحضري) ولاشك أن المؤلفات الجزائرية وصلت إلى البلاد الشنقيطية في وقت مبكر

فألفية ابن معطي الزواوي الجزائري (ت 628 هـ) قد وصلت بلاد شنقيط وكان للقوم بها اعتياد كبير بل هنالك من العلماء من يتقنها معنى ولفظا ومنهم من يحفظها حفظا، ولا ننسى أن هذه الألفية تسمى «الدرة الألفية في العلوم العربية» وقد ذكرها ابن مالك في مقدمة تظمه لألفيته معترفا لصاحبها بفصل السيف يقول: (11)

واستعين الله في ألفية * مقاصد النحو بها محويّه
تقرب الأقصى بلفظ موجز * وتبسط البذل يوعد منجز
وتقتضى رضى بغير سخط * فائقة ألفية ابن معط

كما يمكن القول إن تلمسان أنجبت عدة علماء كان لهم تأثير كبير في العالم الإسلامي عموما في شنقيط على وجه الخصوص، ومن هؤلاء أبو عبد الله التلمساني (المتوفى 771 هـ) وهو فقيه متميز انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب العربي في عهده، ومن كتبه المفتاح في أصول الفقه (12) وقد وصلت كتب هذا التلمساني بلاد شنقيط واستفاد منها الناس، وثمة تلمساني آخر هو عفيف الدين التلمساني شاعر صوفي انتشر صيته في العالم الإسلامي وقد حاورت مرة أحد علمائنا فحدثني عنه وحفظ لي قصيدة رائعة تنسب إليه ومطلعها: (13)

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو * فما مثلها دار الخطيب ولا الكرخ

ومن العلماء الجزائريين الذين كان لهم تأثير في البلاد الشناقطة كذلك نذكر العالم أحمد بن يحيى الونشريس (14) صاحب «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب». وقد وصل هذا الكتاب إلى البلاد الشنقيطية في وقت مبكر واعتمده اعتمادا كبيرا في أقضيته ونوازلهم وفتاويهم وذلك ما أكدته عالمهم البابغة الغلاوي (15) في أسلوب من الجناس بديع يجعل المعيار من بين الكتب المعتمدة عند القوم ويجدد قيمته ورتبته في كتب النوازل والفتاوى يقول: (16) الرجز.

واعتمدوا المعيار لكن فيه * أجوبة ضعفها بغيه

ولا يفوتنا أن نسجل في هذا السياق تأثير مؤلفات العالم الجزائري عبد الرحمن الأخضرى⁽¹⁷⁾ وحضورها بالربوع الشنقيطية، فقد دأب القوم على تحفيظ أبنائهم مختصر هذا الجزائري حيث قرروا تدريسه في مؤسساتهم التعليمية بالمراحل الأساسية الأولى، وذلك بعد عهد الكتاب وحفظ القرآن مباشرة.

ولا شك أن هذا المختصر الفقهي نال انتشارا كبيرا فهو كتاب تربوي مدرسي جامع بين الفقه والعقيدة، جار على الألسنة، مهذب الألغاب ميسر للحفظ والإستظهار، فأقبل الناس في بلاد شنقيط على درسه وتدرسه، حتى إن كلمات منه أصبحت تجري على ألسنة الناس باستمرار وترسخت في منطوقهم القومي ولجهتهم الحسانية.

وقد اعتنى العلماء الشناقطة بهذا الكتاب فشرحوا معانيه وأوضحوها، كما قربوه إلى الناشئة بالأنظام والأراجيز فنظمه عدة من علماء القوم⁽¹⁸⁾ وقد أحصى أحد الباحثين الموريتانيين لهذا المختصر الفقهي اثني عشر شرحا شنقيطيا،⁽¹⁹⁾ مما يدل على الحضور المكثف لهذا النص بين أظهر الناس حيث جعلوه من المبادئ الفقهية والأبجديات العقدية التي لا غنى عنها.

ولم يكن اهتمام الشناقطة بالأخضرى على مستوى الفقه فقط بل اعتنوا كثيرا بمنظومته في المنطق المعروفة بـ: بالسلم.

فشرحوها عدة شروح وأضافوا إليها واستدركوا عليها وحاذوها بالطرر والإنظام والتوشیحات حتى إن عالمة شنقيطية شرحت هذا النظم الجزائري وعلقت عليه.⁽²⁰⁾

وبلغت الشروح والتوشیحات الشنقيطية لهذا النظم إحدى عشر مؤلفا مابين طرة وإحمرار وتعليق.⁽²¹⁾

وهناك إحمرار مفيد للعالم الموريتاني المختار بن حامد⁽²²⁾ لم يذكره ذلك الباحث الذي أشرنا إليه من قبل، وهذا الإحمرار عبارة عن توشیح بالغ

الأهمية حاول ضمنه هذا الموريتاني أن يجمع مافات الأحضري مستدركا عليه بعض المسائل في جملة من أبوابه.

أمّا العالم محمد بن يوسف الحسيني التلمساني (ت 895 هـ) المعروف بالسنوسي فإن مؤلفاته كانت حاضرة في الفكر الأشعري الشنقيطي، بل ربما هي عماد الدرس الكلامي هنالك ومصدر مؤلفات القوم ومرجعهم الأول، ومنطلقهم كذلك في التدريس، فقد تداولوا بين أظهرهم مؤلفاته العقدية جميعا من "الكبرى" إلى "الوسطى" فـ "الصغرى"، وبرهانا على ذلك فإن «أمّ البراهين» (عقيدة السنوسي) قد شرحت مرارا من قبل الشناقطة وتدولت تداولاً كبيراً إذ أورد زميلنا الباحث في مقاله الذي ذكرنا إحدى عشر مؤلفاً شنقيطياً يتعرض لها ويتناولها، وهذه المؤلفات مابين شرح وطرة وتعليق. (23)

ولا ننسى أن نذكر في هذا السياق أن قصيدة مشهورة في العقيدة تسمى "الجزائرية" نسبة إلى أحد العلماء الجزائريين كانت تدرس بشكل مكثف في المعاهد الشنقيطية خاصة خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين حيث تحدث ابن نبان البرتلي (24) في كتابه «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» كثيرا عن هذه القصيدة، والمتصفح لكتابه يدرك أن معظم مترجميه كانوا يدرسون هذه الجزائرية ويدرسونها. (25)

إضاعة المقرئ وتأثيرها على الشناقطة:

لا شك أن «إضاعة الدجّة في اعتقاد أهل السنة» لأحمد المقرئ التلمساني من أبرز المؤلفات العقدية التي أطرت الفكر الأشعري بأرض شنقيط، فقد حددت معالمه وبلورت جملة من مباحثه ومسائله، وأكثر ذلك وصلت البلاد في وقت مبكر جدا، فقد بلغت إلى تلك الربوع خلال القرن الحادي عشر الهجري أي بعد وفاة مؤلفها بقليل، وذلك بفضل جهود المرتحلين الشناقطة الذين كان همهم الناصب في طعنهم وإقامتهم الإشتغال بمسائل العلم والسعي إلى جمعها وتدوينها، فكان أحدهم إذا خرج في رحلاته الحجازية إلى الحج والعمرة مثلا

لا يرجع إلى أرضه - غالبا - إلا وهو يحمل معه إجازات علمية، وكتبا مصنفة،
وأسانيد عالية وربما سلاسل صوفية.

وهكذا أخرج من تلك البلاد العالم عبد الله بن محمد الحسني في القرن
الحادي عشر الهجري ليحج بيت الله. وخلال إقامته بالمدينة إلتقى بمفتي
الحرمين يومئذ فأجازه في "إضاءة الدجنة" إجازة عالية.

فرجع إلى بلاده وهو يحمل معه هذه الإجازة العالية، وبذلك أدخل هذا
الحسني إلى أرض شنقيط النص العقدي الأساسي الذي جذر التفكير الأشعري
ورسخ علم الكلام، بل أصبح العمود الفقري لمقررات القوم هنالك.

وقد اعجب الشناقطة بهذا المنظوم الجزائري لجودة سبكه وحسن عباراته
وتناغم ألفاظه فكانوا يرددونه أنشودة. فتداولوه بين أظهرهم تداول كبيراً.
فتعددت شروحهم وكثرت تعليقاتهم عليه، وتنوعت طررهم وحواشيهم عليه حتى
أوصلها أحد الباحثين المعاصرين إلى ما يقارب العشرين من الطرر
والشروح.⁽²⁶⁾

ولعل أبرز هذه الشروح شرح محمد يحيى بن أبوه الموسوي اليعقوبي⁽²⁷⁾
وقد سماه «فتح ذي المنه على إضاءة الدجنة» وقد عرضه على شيخه الإمام
يخطيه بن عبد الودود⁽²⁸⁾ فور فراغه منه فأعجب به إعجاباً وارتضاه كثيراً
ودعا الطلبة إلى اعتماده واتخاذه نمودجا في التفكير الأشعري فأقبلوا عليه
يقرظون فذهب أحدهم وهو محمد عال بن عبد الودود⁽²⁹⁾ إلى أن "هذا المؤلف
جمع المسائل أدناها وأقصاها لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها".⁽³⁰⁾

أمّا عبد الله بن محمد المختار المالكي⁽³¹⁾ فقد قرظ هذا الشرح مؤكداً
صاحبه جاء بالجديد، وفتح في التفكير الكلامي فتحا مبينا إذ رفع اللبس عن
إضاءة المقرري وأزال ما بها من غموض يقول⁽³²⁾ (البسيط).

بفتح ذي المنه الرحمن قد فتحا * على الأريب وعنه أعيت الفصحا

ما زال يكشف ما من القتام علّا * إضاءة المقرري حتى انزوى وصحا

ومن هنا ننتهي إلى القول إن هذه المؤلفات الجزائرية الأربع (مختصر الأخصري في الفقه - وسلمه في المنطق - وإضاءة الدجّة للمقري - وأمّ البراهين للسنوسي) كانت حاضرة في الدرس الموريتاني حضورا كبيرا، بل ربّما أمكن القول إنها هي أطرت كثيرا من جوانبه الفقهية والعقدية والمنطقية. غير أنها لم تكن في الساحة وحدها وإنما وجدت إلى جانبها مؤلفات جزائرية أخرى كانت نادرة التداول قليلة الإنتشار، ومع ذلك ربما كانت مستأنس القوم في الدراسة ومرجعهم في التدريس ونذكر منها على سبيل المثال: قصص الأنبياء لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي والجواهر الحسان في تفسير القرآن له أيضا، وشرح السلم لسعيد بن إبراهيم قدورة، والقدسية لعبد الرحمن بن محمد الأخصري، والجواهر المكنون في الثلاثة الفنون له أيضا، والمصباح المنير لأحمد المقري، ورسائل الشوق لمحمد بن اسماعيل الثعالبي، وشفاء الصدور برأي المسائل العشر لمحمد بن علي السنوسي. (33)

حضور الشناقطة بالصعيد الجزائري:

لا بأس من التنبيه إلى أن العلامة المصطفى الطالب أحمد بن طوير الجنة الواداني الشنقيطي (34) قد مر في رحلة عودته من الحج بالجزائر، وكان منطلق رحلته قد تزامن مع لحظة من تاريخ العالم العربي والإسلامي ساخنة إذ بدأ ارتحاله في فترة التوسع الأوروبي، وبالذات عام احتلال فرنسا للجزائر، ولعل ذلك ما جعلنا نصادف تقارير وافية عن هذا الرجل قدمتها الدبلوماسية الغربية. (35)

وقد حدثنا الواداني في رحلته عن احتلال الجزائر في نوع من التأسف حزين مشيرا إلى أن هذا الإحتلال منعه من المرور بالجزائر التي كان ينوي المرور بساحتها في رحلة ذهابه، بل إنه حمّله على أن يغير طريقه ويبدل وجهة سيره، لما وصل إلى فاس متوجها إلى الجزائر سمع بأمر الإحتلال فعدل عن سبيله الأول وكتب رسالة إلى السلطان المغربي ملاي عبد الرحمن بن هشام يلتمس منه المساعدة في التوجه إلى مدينة العرائش ليركب البحر من هنالك

إلى الإسكندرية يقول: «لما قدمنا فاسا وجدنا الجزائر أخذها النصاري افرانسيس» كتبنا إلى مولاي عبد الرحمن وهو بمكناسة الزيتون إن البر لا يمكن السير فيه، وإن نحب الركوب في البحر فكتب إلى قائده بالعرائش مكتوبا نصه: «الفقيه سيد أحمد بن طوير الجنة وتلامذته الثمانية أركبهم في سفينة إلى الاسكندرية». (36)

غير أن هذا الشنقيطي الواداني حرص في رحلة عودته على المور بالجزائر وتلبث بها أياما، وقد روى لنا في رحلته أنه لما بلغ إلى أحد الموانئ الجزائرية علم به الفرنسيون فأرسلوا إليه وأدخلوه إلى الحجر الصحي مسارعين إلى أخذ المعلومات المتعلقة بإسمه وجنسيته ومكانته وأحوال بلده، (37) وبعد هذا التحقيق أنزلوه دارا من أعلى دور الجزائر وأجملها وأكلوا جماعة بالسهر على خدمته. (38)

ولعل الفرنسيين كانوا يسعون من وراء هذه الحفاوة وهذا الإستقبال الحار إلى الحصول على معلومات وافية عن إفريقيا الغربية عموما وموريتانيا على وجه الخصوص.

وفي الجزائر - كغيرها من الحواضر الإسلامية - يبقى الهم الناصب لهذا الشنقيطي هو التماس البركة وزيارة القبور فتردد على مقابر الصالحين الجزائريين مركزا على ضريح عبد الرحمن الثعالبي. (39)

وأكثر من ذلك فإن محمد محمود بالتلاميذ التركي الشنقيطي (40) مر في رحلة ذهابه إلى الحج بمدينة تينذوف الجزائرية متوقفا بساحتها توقفا معرفيا جلس خلاله إلى صفوة العلماء من أسرة آل بلعشم أخذوا عنهم بعض علوم السنة ومصطلح الحديث. (41)

ولا ننسى أن نختم هذا المقال المتواضع الموجز بأبيات أنجبتها قريحة شاعر موريتاني أيام زيارة الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد للبلاد الموريتانية، ولا شك أن هذه الأبيات تكشف عن جانب من الروابط والصلات

الخاصة التي تجمع بين الشعبين وتشد بعضها إلى بعض يقول: (42) الخفيف.

لم أقف هاهنا لأنشد شعرا * عاطفيا يهزّ نبض المشاعر
أو أناغس الخيال اقتنص الأطياف فأحس مع الخيال المغامر
إنهما جنّت هاهنا لأحبي * من خلال الضيوف شعب الجزائر
وأحبي جهاده حيث لا يملك إلا الإيمان إلا البشائر
كم أراد المستعمرون به سر * رأفتارت على الصليب المنابر
قاد زحف الجهاد أعلاه الغر * روثارت أحراره والحرائر
يا ابن باديس قرّ عيننا فما ضا * عت علوم نشرتها في البوائر
إن تلك الجهود أثمرت شع * بأأيما متيما بالهاتر
يا بلاد الجهاد يا أرض مليو * ن شهيد حيّاك مليون شاعر

ونتوج هذه العالجة التي خصصناها بالتعريف بالحضور العلمي والثقافي لنخبة من العلماء الجزائريين في البلاد الشنقيطية،

بإدراج جرد علمي وإحصائي لأهم المؤلفات الشنقيطية التي تمحورت أساسا حول مصنفات ومصادر عملية جزائرية عدت في عصرها مراجع للعلم والمعرفة.

وهذا ملحق بأهم المؤلفات الشنقيطية التي تناولت أربعة من المؤلفات الجزائرية بالشرح والتعليق والإستدراك وهذه المؤلفات الجزائرية الأربعة هي: «إضاءة الدجنة» للمقري «ومختصر في الفقه» لعبد الرحمن الأخضر، و«نظم السلم» للأخضري أيضا. بالإضافة إلى كتاب «أم البراهين» للسنوسي وفيمايلي سنستعرض هذه المؤلفات ونذكرها تباعا. ليعم النفع وتكتمل الفائدة.

أ- إضاءة الدجنة: (المقري)

- 1- فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة / الطالب محمد بن بلعمش.
- 2- تنوير الأجنة شرح إضاءة الدجنة / عبد الله بن الحاج حمى الله الغلاوي.
- 3- شرح الإضاءة / النابغة بن أعمر الغلاوي.
- 4- كتاب توضيح طريق أهل السنة على إضاءة الدجنة / عبد القادر بن محمد سالم.
- 5- شرح إضاءة الدجنة / محمد الأمين بن حمد زيدان.
- 6- شرح الإضاءة / الحاج البشير بن عبد الحي الرقيبي.
- 7- شرح الإضاءة / بابه بن حمدي الحاجي.
- 8- شرح الإضاءة / أمبيريك بن ميلود.
- 9- عون ذي المنة على إضاءة الدجنة / عثمان بن الطالب الأمين البوفائدي.
- 10- شرح الإضاءة / محمد بن كداه.
- 11- فتح ذي المنة على إضاءة الدجنة / محمد يحيى بن أبوه.
- 12- شرح الإضاءة / عبد الرحمن بن عبد الله بن بلا.
- 13- شرح الإضاءة / المختار بن محمد سالم.
- 14- شرح الإضاءة / محمد الأمين بن عبد الله بن محمد سالم.
- 15- طرة إضاءة الدجنة / محمد الأمين بن أحمد بن البشير.
- 16- شرح الإضاءة / الشيخ عبد الرحمن بن بلال.
- 17- شرح الإضاءة / محمد السالم بن الشين.

ب - السلم: (للأخضري)

- 1- شرح السلم في المنطق / النبوي بن الإمام محمد عبد الله الولائي.
- 2- طرة على السلم / خديجة بنت العاقل.
- 3- شرح السلم / محمد الأمين بن أحمد زيدان.
- 4- طرة على السلم / زين بن أحمد.
- 5- شرح السلم / سيدي محمد بن أحمد بن حبت.
- 6- طرة على السلم / مجنض بابيه بن أعبيد.
- 7- شرح السلم / محمد حبيب الله بن ماياي.
- 8- طرة السلم / عبد السلام بن أب بن جرمة العلوي.
- 9- طرة على السلم / محمد الأمين بن أحمد بن البشير.
- 10- العلم المعلم شرح السلم / الشيخ بن حامن.
- 11- كتاب المتعلم / محمد الحسن بن منان.
- 12- المختار بن حامد (أحرار).

ج - سنن الأخضري في الفقه:

- 1- نظم الأخضري وشرحه / عبد الله بن الحاج حمى الله.
- 2- الأزهرى شرح الأخضري / محمد النابغة بن أعمر.
- 3- شرح الأخضري / الشيخ باب بن الشيخ سيدي محمد الكنتي.
- 4- شرح الأخضري / أمبيريك بن ميلود.
- 5- كفاية المبتدي في حل ألفاظ الأخضري / محمد المختار بن جودة الله.
- 6- نظم الأخضري / محمد بن أحمد وقال.

- 7- شرح الأخضرى / أحمد أجود بن البار.
- 8- شرح الأخضرى / محمد بن باباه.
- 9- شرح الأخضرى / محمد بن محمد بن أحمد.
- 10- الفلق البهى على نظم الأخضرى / محمد بن محفوظ بن دهمد.
- 11- فتح الرحمن فى علم فروض الأعيان: شرح نظم الأخضرى لابن الحاج حمى الله - مروان بن سيد محمد الولاتى.
- 12- شرح نظم الأخضرى لابن الحاج حمى الله - محمد عبد الله بن محمد المختار الولاتى.

د أم البراهين: (عقيدة السنوسى)

- 1- نظم أم البراهين / الحاج الحسن بن أغبدي الزيدى.
- 2- شرح أم البراهين / أحمد بن العاقل.
- 3- هصر العراجين من عذق أم البراهين / الشيخ سيدى بن الهيبه.
- 4- شرح أم البراهين / الطالب أحمد بن محمد رار.
- 5- نظم أم البراهين / حيمد بن إنجنان.
- 6- الكواكب الذرية على العقيدة السنوسية / أحمد بن محمد عبد الله بن أبى بكر.
- 7- شرح أم البراهين / يحيى بن محمد بن المصطفى التندغى.
- 8- طرة أم البراهين / أحمد بن محمد بن الخطاط.
- 9- نظم صغرى السنوسى / محمد بن المويد.
- 10- شرح أم البراهين / الأمين بن الحاج.
- 11- شرح عقيدة السنوسى / الطالب محمد بن أبى بكر الصديق البرتلى.

الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- الأستاذ أحمد بن محمد يحيى: مجلة الوسيط (يصدرها المعهد الموريتاني للبحث العلمي) العدد 5 - 1996 / مقال بعنوان: «العلاقات الثقافية المغاربية من خلال المخطوطات الموريتانية». ص 40-51. ولهذا الإستشهاد انظر ص 43.
- 2 - أبو العباس الغبريني: «عيون الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة / بيروت، الطبعة الثانية 1979 (الصفحات الأولى من هذا الكتاب وقد استفتحه المؤلف بترجمة شعيب أبو مدين.
- 3- مخطوط في بعض الكنائش البلاد (موريتانيا) وهو في متناولنا.
- 4- هو العلامة محمد سالم بن المختار بن المحبوب (1354هـ / 1412هـ) الموريتاني عالم وفقه متمكن، كان أبرز المدرسين بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية في موريتانية له مشاركة عالية في القضاء والفتوى، كان لغويا، نحويا، شاعرا له مؤلفات عديدة منها شرح في الأصول وشرح على لامية الزقاق في القضاء بالإضافة إلى ديوان شعري.
- 5- مخطط بحوزتنا، وهذه القصيدة تقع فيما يقارب الثمانين من الأبيات.
- 6- هو الشيخ أحمد التيجاني (1150هـ - 1230هـ) يكنى أبو العباس بن محمد السريف الحسني تولد في عين ماض بالجزائر وتوفى بفاس في المغرب، وهو صاحب الطريقة التيجانية المنتشرة في بلاد المغرب العربي وإفريقيا الغربية.
- 7- هو الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي (ت 1247هـ / 1832) عالم متصوف مشهور رحل إلى فاس ولقي الشيخ سيدي أحمد التيجاني وأخذ عنه طريقته الصوفية، وعمل على نشرها في الربوع الشنقيطية والإفريقية.
- 8- هو محمد يحيى (الفقيه) بن محمد المختار بن الطالب عبد الولالي (1259هـ - 1330هـ) من أكابر علماء شنقيط وسفرائها المثقفين له عدة مؤلفات منها رحلته الحجازية المطبوعة.
- 9- محمد حجي: الرحلة الحجازية: تأليف الفقيه محمد يحيى الولاتي: تحقيق وتعليق، دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى 1990. معهد الدراسات الإفريقية - الرباط : ص 55 وما بعدها.
- 10- مخطوط شنقيطي بحوزتنا.
- 11- انظر متن الألفية لابن مالك: الصفحة الأولى.
- 12- منجد اللغة والإعلام: جانب الإعلام. مادة تلمسان.
- 13- مقابلة مع زميلنا الأستاذ: أحمد وبين محمد بن حمينا.

- 14- هو أحمد بن يحيى الونشريسي 834هـ / 917هـ ولد بتلمسان ونشأ بها وترعرع وأخذ المعارف والعلوم، ولما بلغ أشده عام (874هـ) خرج إلى فاس ليقوم بها له مؤلفات هامة منها "المعيار" و"كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية".
- 15- هو محمد النابغة القلاوي (ت 1245هـ / 1829م) عالم وشاعر جال في طلب العلم وتعلم على أحمد بن العاقل الأبهمي من آثاره منظومه "بواطليحيه" في الكتب المعتمدة والإفتاء، وكتاب "النجم الثاقب فيما لليدالي من المناقب".
- 16- مخطوط شنقيطي بحوزتنا.
- 17- هو عبد الرحمن الأخضرى عالم جزائري، قيل إنه عاش حياة قصيرة لاتتجاوز ثلاثا وثلاثين سنة من (920هـ / 953هـ) له عدة مؤلفات عديدة منها مختصر في الفقه، نظم في المنطق سماه السلم المرونق إلى علم المنطق وغيرها.
- 18- سنثبت ملحقا بأسماء العلماء الشناقطة الذين اعتنوا بالمؤلفات الجزائرية فشرحوها أو نظموها مركزين على أربعة هذه المؤلفات كان لها أكبر الحضور وأعظمه وهي: المختصر للأخضرى و"السلم" في المنطق له أيضا، وأم البراهين للسنوسي، وإضاءة الدجنة للمقري.
- 19- أحمد بن محمد يحيى: مجلة الوسيط مرجع سابق: ص 44.
- 20- المرجع السابق، ص 43.
- 21- المرجع السابق، ص 44.
- 22- هو الأديب المؤرخ والعالم الموريتاني الموسوعي (1315هـ - 1414هـ) تدارك الثقافة الموريتانية فدونها عبر موسوعته المشهورة: "حياة موريتانيا" وقد طبع منها جران: الجزء الثقافي، والجزء الجغرافي له عدة مؤلفات وديوان شعري ضخم لم يطبع.
- 23- أحمد بن محمد يحيى: مجلة الوسيط: مرجع سابق، ص 44.
- 24- هو الطالب محمد بن أبي بكر بن بنان البرتلي (ت 1219هـ) فقيه ولائي ألف كتابا عنوانه "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء الكرور" وهذا الكتاب من أهم ما تناول الحياة الثقافية بالبلاد الشنقيطية خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين.
- 25- وقد اطلعت على نسخة من القصيدة مع شرح لها مفيد في مكتبته أهل محمد سالم بن المحبوب في أنواكشوط، وهي نسخة قديمة ترجع إلى القرن الثالث عشر الهجري.
- 26- أحمد بن محمد يحيى: مجلة الوسيط: مرجع سابق. ص 43 - 44.
- 27- هو محمد يحيى بن أبوه الموسوي اليعقوبي (1310هـ - 1349هـ) عالم ورحالة شنقيطي أخذ العلم عن يحظيه بن عبد الودود، وارتحل إلى الحج وله مؤلفات منها "فتح ذي امنه على إضاءة الدجنة" ورحلة منثورة أدبية مفيدة.

28. هو يحظيه بن عبد الودود الموريتاني (1265هـ - 1358هـ) من أبرز علماء موريتانيا خلال القرن الرابع عشر الهجري، أنزله علماء البلاد منزلة سيبويه في النحو، له محظرة نحوية وفقهية وتخرج عليه عدد كبير من العلماء.
29. محمد عال بن عبد الودود الموريتاني (ت 1401هـ) عالم جليل تخرج من محظرة يحظيه بن عبد الودود كان شاعرا له مؤلفات عديدة.
30. محمذن بن المحبوب: أدب الرحلة في بلاد شنقيط: مقاربة وتنظير. دبلوم الدراسات العليا / جامعة محمد الخامس - المغرب - 1995، ص 40.
31. هو عبد الله بن محمد المختار المالكي الموريتاني عالم وشاعر تخرج من مدرسة يحظيه بن عبد الودود.
32. الحسن بن محمد الأمين: تحقيق الجزء الأول من رحلة محمد يحي بن أبوه جامعة أنواكشوط / 1987، ص 28.
33. أحمد بن محمد يحي: مجلة الوسيط: مرجع سابق، ص 43.
34. هو المصطفى الطالب أحمد بن طوير الجنه الواداني الحاجي (ت 1265هـ / 1848م) عالم متصوف قام برحلة حجازية التقى خلالها بالسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن فأكرمه، من مؤلفاته "رحلة المنى والمنه"، وقد ترجمها نوريس إلى الإنكليزية ونشرها.
- Phillip 35-H.T. Nouris: The pilgrimage of Ahmed son of the little brid of paradis aris and L.T warminster England 1977.
- انظر المرجع وما كتبه دستان الفرنسي في مجلة الدراسات الإفريقية.
36. زينب بنت الطالب أحمد: تحقيق رحلة المنى والمنه لجامعها ومنشئها الطالب أحمد بن طوير الجنه / جامعة أنواكشوط 1993، ص 51.
37. المرجع السابق، ص 78.
38. المرجع السابق، ص 78.
39. المرجع السابق، ص 87.
40. هو محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي (1232هـ / 1322هـ) عالم لغوي بارز ونحوي مجتهد ارتحل إلى المشرق فاق نظراءه في مصر والحجاز له مؤلفات هامة منها "الحماسة السنية" والصويبا على القامس وأخرى على "الأغاني" وعلى "المخصص" لابن سيده بالإضافة إلى ديوان شعري محقق.
41. محمذن بن المحبوب: أدب الرحلة في بلاد شنقيط مرجع سابق، ص 116.
42. مخطوط بحوزتنا.